الذاتية بين فن السيرة والرواية السير ذاتية

Autobiography between the art of biography and the autobiographical novel

شهيناز بوصبع*
جامعة الحاج لخضر باتنة1
Chahinez.bousbaa@univ-batna.dz

نجوى منصوري
جامعة الحاج لخضرباتنة1
nejouan@gmail.com

تاريخ الإرسال: 03-**07-2021** تاريخ القبول: 08-**11-2021**

ملخص:

تروم هذه الدراسة كشف تجربة الذات في الكتابة الروائية كونها أكثر الأنواع الأدبية تجاوبا مع معطيات الوعي الإنساني عموما، وبوح الذات في علاقتها بهذا الوعي وتساؤلاته حول الوجود، والواقع... بشكل خاص، ولعل هذه التجربة تستدعي خطابا ذاتيا يمتزج فيه سرد السيرة الذاتية وسرد الرواية، فينتج سرد روائي سير ذاتي يحمل خصوصية بوح واعترافات صاحب السيرة، وتلميح صاحب الرواية، ويجتمع فيه الواقع بالمتخيل، ضمن ما يسمى بالرواية السير ذاتية.

تبعا لهذا التصور نبحث في إشكالية التجنيس والتعالق بين الرواية والسيرة الذاتية.

الكلمات المفتاحية: ذاتية؛ ذات؛ سيرة؛ تجربة روائية.

Abstract:

This study aims to reveal the experience of the self in fictional writing as it is the most responsive literary genre to the data of human consciousness in general, and the self-disclosure in its relationship to this awareness and its questions about existence, and reality... in particular. This experience might call for a subjective discourse in which the biographical narration and the narration of the novel are mixed, resulting in an autobiographical narrative that bears the privacy of the revelation and confessions of the author of the biography, and the author's suggestions, in which reality meets the imagined, within the so-called biographical novel. According to this perception, we wonder about the feasibility of the novelist's text, "A Migrant Waiting for the Supporters," celebrating the writer's identity, revealing her worlds that stretch between the real and the imaginary, and we discuss the problem of naturalization and the relationship between the novel and the biography.

* - المؤلف المراسل.

Keywords: autobiography؛ self، biography؛ Narrative experience.

مقدمة:

شغلت الكتابة عن الذّات أو فن السيرة الذاتية اهتمام الدارسين، وهي جنس فني أدبي قديم ومستحدث في نفس الوقت له هويته ومقوماته وشروطه الخاصة به بين الأجناس الأدبية الأخرى، ولكنها في العصر الحديث خرجت عن هذه المقومات والمعايير الثابتة التي كانت عليها، وظهرت لها قراءات متعددة نلمس فيها روح التّجدد والتّميز.

والسيرة الذَّاتية فنٌ أدبي يهتم بالواقع ويعكس التجربة الإنسانية للأديب، لكنها عندما تمتزج بالرواية فإننا نلمس فيها جانبًا مِنْ الازدواجية من خلال الجمع بين ما هو واقعي وما هو خيالي، وكأن الكاتب يرسم لنا حياتهُ في قالبٍ من الخيال تكاد تشبه إلى حدٍ ما أحلامه وآماله التي أراد تجسيدها انطلاقا من واقعه الذي يكون غير راضٍ عنه وراغبًا في تغيره، ومنه فإن دخول السيرة الذاتية ضمن إطار الروائي، أصبح من القضايا التي تحظى باهتمام الباحثين والنّقاد، من خلال ما تقدمه للمتلقي من تجارب ذاتية صادقة وما ينتج عنها من تجارب فنية وجمالية، وتعدد في الموضوعات والمضامين التي أصبحت تشمل جميع مناحي الحياة .

وإذا ما تحدثنا عن الرواية السير ذاتية العربية والجزائرية على وجه الخصوص فنجد أنها تأثرت بالدرجة الأولى بنظيرتها في الغرب والتي تحمل الكثير من بوح واعترافات الذات خارج إطارها الإنساني (الأخلاقي والعقائدي، والقيمي...)، واستطاعت أن تواكب هذه الجنس الحديث مع بقاء التحفظ إلى حد بعيد بحيث بقيت مسألة البوح بكل شيء أمرًا صعبًا على البعضِ، إلا أن هذا الأمر لم يمنع من الإبداع والتَّفنن في الكتابةِ عن الذَّات.

إن الكتابات الروائية التي تتداخل وفن السيرة الذاتية هي نوع من الكتابات السردية التي يلتحم فيها السرد التخييلي مع وقائع حقيقية خاصة بالمبدع ذاته، فسرد السيرة في هذه الرواية يتحول إلى سرد قصصي بأحداث وأزمنة وفواعل سردية، ويقدم بين أسطره مرحلة مهمة من حياة المبدع، خاصة وأن ضمير المتكلم يرد صريحا في السرد.

تقف الدراسة، تبعا لذلك عند حدود التساؤلات التالية:

ماهي محددات الرواية السير ذاتية انطلاقا من المفاهيم المتداولة، وما الفرق بينها وبين السيرة الذاتية، وما جدوى استيفائها فنيات التشكيل الروائي المركب الذي يتداخل فيه التخييل والسير ذاتي، والذي يفضي بغايات الذات المضمرة، وماهي أهم خصائص ومميزات الرواية السيرية.

1-الرواية والسيرة الذاتية:

كان تداخل الرواية والسيرة الذاتية من أكثر الظواهر الأدبية شيوعًا في المراحل الأولى من تاريخ الأدب العربي الحديث، فقد استخدم رواد الرواية المصرية مادة حياتهم الشخصية ليصنعوا منها رواياتهم الأولى في صيغة سير ذاتية واضحة والأمثلة هنا كثيرة، أبرزها "طه حسين" في «الأيام» ، بحيث يقول يحي إبراهيم عبد الدايم أن دار الآداب بيروت قامت بنشر مذكرات طه حسين، حيث أُلحقت هذه المذكرات بكتاب الأيام، واعتبرت جزأه الثالث، فهو فاتحة الجنس السير ذاتي والأنموذج الأمثل الذي يعكس جنس السيرة الذاتية العربية الحديثة، ففيه تحدث طه حسين عن أيام عاشها في حياته ومضت، بحيث يبتدئ بحديث خافت تتحدث به الذات إلى داخلها ، ثم لا يلبث أن يتحول إلى حديث مسموع، ليتعدى هذا النطاق الضيق، فيصبح خطابًا تتوجه به هذه الذات المفردة إلى مثيلاتها من الذوات الأخرى المتعددة التي تصغي إليها ولا تنكرها، وخير مثالا على ذلك قول طه حسين «...ولست أدري لماذا رجعت ذات يوم إلى ذكريات الصبا أتحدث بها نفسي لأنسى بهذا الحديث أثقال الشباب ثم لم أكتف بالتحدث إلى نفسي فيما بيني وبينها وإنما تحدثت إليها حديث مسموعا فأمليت هذا الكلام على صاحبي في رحلة من رحلات الصيف»[1] ، ولعل الذات وجدت في بوحها صدى لما عرفته وعاشته.

وإلى جانب طه حسين نجد كذلك "هيكل" في «زينب»، و "العقاد" في «سارة»، و "توفيق الحكيم" في «عصفور من الشرق»، و «يوميات نائب في الأرياف»، الأمر الذي كان

[1] - الطريطرجليلة، (2004م) مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، بحث في مرجعيات، ج1، ط1 مركز النشاط الجامعي، تونس، ص 347.

سببًا في تعدد وتنوع مفاهيم السيرة الذاتية العربية، ذلك بحسب النوع أو الشكل الذي تكون فيه؛ فهي جنس أدبي له القدرة على التداخل مع الأجناس الأخرى.

ولذلك أثارت جدلاً كبيرا وتعددت الآراء والأقوال في وضع تعريف محدد وجامع لها، فقد اجتهد العلماء في تحديد تعريف واضح لها فاتفقوا بشكل عام على أنها فنٌ أدبي يعرض فيه صاحبها حياتهُ وأفكارهُ بشكل صريح أو حياة أحد الأعلام المشهورين ويترجمها. ولذلك أصبح «فن السيرة في التعريف الأدبي هو: نوع من الأدب يجمع بين التَّحري التاريخي، ويراد به مسيرة حياة إنسان ورسم صورة دقيقة لشخصيته"[(2)] .

إن السيرة الذاتية (**Autobiographie**)كما ذكرنا في السابق، فن ظهر منذ القدم، وارتبط ارتباطا كبيرا بالتاريخ، لكن لم يعترف به إلا في بداية السبعينيات، وظهر المصطلح إلى «حيز الوجود لأول مرة في القرن التاسع عشر في معجم (أوكسفورد) الإنجليزي الذي يرجع تاريخه إلى عام 1809م وذلك في مقال (لروبرت ساوثي) عن حياة المصور البرتغالي فرانسيسكوا فيريرا»[(3)] .

ومن أهم وأبرز المنظرين لهذا الفن "فيليب لوجون" (**Philipe Lejeune**) الذي أورد تعريفا للسيرة الذاتية في كتابه (السيرة الذاتية) بقوله: "حكى استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة"[(4)]. ومن هنا يرتبط هذا الفن بالتاريخ الشخصي، ويمكن تحليل هذا التعريف إلى العناصر التالية[(5)] :

1-الصياغة: وتتحقق باللجوء إلى:

أ) الحكي أو القص أو السرد.

---

(2) - جبور عبد النور، (1984م)، المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، لبنان، ص 143.
(3) - شرف عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ص 42.
(4) - لوجون فيليب، (1994م)، ط1، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم: عمر حلي، المركز العربي، بيروت، ص 22.
(5) - بودربالة الطيب، من السيرة الذاتية إلى السيرة الروائية، مقال نقدي، الموقع الإلكتروني benhedoug.com/content، 05 جوان 2021 س: 10:00.

ب) استعمال الأسلوب النثري.

2-موضوع السيرة ويتناول حياة فرد وتاريخ شخصية معينة ومحددة في إطارها الزماني والمكاني.

3-وضعية المؤلف: وتتمثل في مطابقة شخصية المؤلف (الذي يحمل اسم شخصية واقعية حقيقية) لشخصية السارد ولو كان الضمير المستعمل أحيانا هو ضمير الغائب (كما هو الحال في كتاب الأيام طه حسين) وليس ضمير المتكلم.

4-وضعية السارد:

أ) نطاق السارد مع الشخصية الرئيسية.

ب) منظور استراتيجي للقص والحكي: ويتمثل هذا الاستحضار في انتقاء الذاكرة لبعض الأحداث التي جرت في الماضي القريب أو البعيد.

ويقول فيليب أيضا: "أنها كل عمل يجمع في الوقت نفسه الشروط اللغوية والموضوعية وما يتعلق بالراوي في حين لا تجمع الأنواع المشابهة للسيرة الذاتية"[6]، أما جان ستاروبينسكي(**jean Starobinski**) فقد وضع مفهوم بسيطا للسيرة الذاتية بقوله: "هي سيرة شخص يرويها بنفسه"[7].

ومن هذا المنطق يتبين أن السيرة الذاتية تتعلق بالمؤلف ذاته، فهو الذي يسرد جوانب من حياته ويحدد غرضه من الإبداع الأدبي هل هو الشهرة أن التنفيس على الذات أم غير ذلك، وهذا ما يرغم كاتب السيرة الذاتية على "أن يكون موضوعيا في نظرته لنفسه بمعنى أن يتجرد من التحيز لنفسه وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث، ولا ينساق مع غرور النفس وتعلقها بذاتها وحبها لإعلاء شأنها وتنقصها من أقدار الآخرين"[8] ؛ بمعنى أنها

---

[6] - لوجون فليب، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ص 10.

[7] - عبد الفتاح شاكر تهاني، (2002م)، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس أنموذجا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 10.

[8] - عباس إحسان، (1996م)، فن السيرة، ط1، دار الصادر، بيروت، ص 102-101.

قصة حياة المرء التي يتذكرها ويكتبها بنفسه، ولذلك تكون واصفة لحياة الشخص، فقد يكتبها أديب أو سياسي أو مجرم أو قائد لأن الشهرة والمعرفة المسبقة بصاحبها شرط ضروري للإقبال على قراءتها.

أما جورج ماي (**George May**) فيعتبر السيرة الذاتية فن حديث النشأة، ولذلك كان من الصعوبة تحديد تعريف لها بسبب حداثة المصطلح، يقول: "أن هذا الجنس الأدبي حديث نسبيا بل لعله أحدث الأجناس الأدبية "[9]، ولعله السبب الذي جعله لا يضع مفهوما نهائيا له

إن ما يجعل فن السيرة ممتنعا عن التحديد والإحاطة المفهومية الشاملة هو التقاؤه وتعالقه وأشكال السرد أو الحكي المختلفة ، ذلك أن "السيرة الذاتية لا تكتب بأسلوب واحد إنما بأساليب مختلفة، وبأشكال سردية متنوعة، فقد تجمع عدة فنون أدبية، لكنها أقرب على السرد منهُ إلى الشعر؛ لأن الشعر غير مؤهل لاحتضان السيرة الذاتية، كونه مقيد ببعض القواعد الخاصة -كالوزن والقافية- كما يقتضي جهدًا مضاعفا لصياغة السيرة الذاتية شعرا، كما أن الشعر يفتقد لمساحات الحرية والسرد المتسلسل الذي يميز النثر القادر على استيعاب أدق تفاصيل التجارب الإنسانية"[10]، فالحكي أو البوح من خصوصيات هذا الفن الذي يبحث عن المساحة الحرة التي يلقي فيها ذلك البوح .

والسيرة الذاتية عمل سردي يعتمد على معطيات شخصية يوظفها صاحبها في قالب معين "لغاية يهدف من وراء كتابتها إما توكيدا للذَّات أو تنفيسًا عن انفعالات أو حالة نفسية ألمت به، أو تبريرا لموقف غير مستساغ صدر منه، أو دفاعا عن قضية فكرية أو اجتماعية آمن بها"[11]، وقد تُكتب السيرة الذاتية لدوافع خارجية، وهذه الدوافع تتمثل في تعليم الآخرين[12]، فتصبح سيرة الذات مجموع تجارب تفيد القارئ.

---

[9] - عبد الفتاح شاكر تهاني، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي جبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس انموذجا، ص 29.

[10] - شعبان عبد الحكيم محمد، (2009م)، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ص 55.

[11] - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 30.

[12] - لوجون فيليب، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ص 50.

وهناك من الكتاب من زاوج بين السير الذاتية والفنون الأدبية المبنية على القص، فنتج عن هذا الدمج العديد من المفاهيم التي تقترب من مفهوم السيرة الذاتية نذكر منها: اليوميات والمذكرات والتاريخ والاعترافات وهذا ما ذهب إليه أنيس المقدسي في تعريفه للسيرة الذاتية وقوله: "هو نوع من الأدب يجمع بين تحري التاريخي والامتاع القصصي، ويراد به درس صور حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته"[13] ، ولو دققنا النظر لوجدنا أن لكل مصطلح مفهومه الخاص، ومن هاته المفاهيم التي تقترب من مفهوم السيرة الذاتية، نذكر المذكرات التي تهتم بشكل كبير بالحوادث بعيدا عن شخصية الكاتب، وقد عرض جبور عبد النور في معجمه الأدبي تعريفا للسيرة الذاتية بقوله أنها "كتاب يروي حياة المؤلف بقلمه، وهو يختلف مادة ومنهجا عن المذكرات أو اليوميات"[14] ، حيث أن "المذكرات تولي اهتماما للأحداث حول الكاتب وخارجه أكثر مما تولي للكاتب نفسه"[15] ، بينما السيرة الذاتية تضع الكاتب نصب عينيها "أي أن كاتب المذكرات لا يتحدث عن نفسه بالضرورة، ولكنه يتحدث عما يدور حوله من أحداث، يدونها ويؤرخ لها، وهو لا ينقل عن نفسه إلا الشيء القليل"[16] .

والفرق بين السيرة الذاتية والمذكرات من منظور المعجم الأدبي يكمن في أن المذكرات هي "سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف، وكان له فيها دور، وتختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك فيها المؤلف أو شهدها، أو سمع عنها من معاصريه، وأثرت في مجرى حياته"[17] ، أما اليوميات فمتعلقة بكل شخص سواء امتلك ناصية الإبداع الأدبي من قصة ورواية وغيرها أم لم يكن كذلك، فهي تتفق مع السيرة الذاتية من ناحية سرد الأحداث المؤثرة في حياة الكاتب، لكن تختلف عنها في نواح كثيرة أهمها الأسلوب الذي تتم به عملية السرد،

---

[13] - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 143.
[14] -المرجع نفسه، ص246.
[15] - شرف عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، ص 44.
[16] - محمود مصطفى الشيب ندى، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002، مذكرة قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الماجيستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م، ص 12.
[17] - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص 246.

فاليوميات تشبه السيرة في سرد ما يتعلق بحياة شخص ما، وتختلف عنها في أنها لا تتبع نمطا فنيا، ولا تلتزم بالشروط الفنية للسيرة، إذ لا يشترط فيها أن تتمتع بأسلوب أدبي مشوق.

كما أن اليوميات تكون أكثر مصداقية من السيرة الذاتية التي يغلب عليها الطابع الفني، لأن الشخص الذي يكتب اليوميات ليس غرضه امتاع القارئ أو المتلقي، فهو يسعى من خلالها لتدوين كل صغيرة وكبيرة أثرت في نفسه وأراد البوح بها على صفحات دفتره اليومي، وقد "بدأ الاهتمام بكتابة اليوميات في أوائل القرن السابع عشر، وكان أصحابها يحرصون على عدم نشرها، وربما كان أو ظهور لها في الأدب الإنجليزي على يد السيد "ويليم دوجديل" (**William Dugdale**) الذي سجل في يومياته خمسة وأربعين سنة من حياته، ولكنها لم تنشر إلا بعد وفاته. ويرى بعض الباحثين من أمثال استاوفرومسزبور أن اليوميات ليست تراجم ذاتية، رغم مالها من قيمته، ورغم أنها كانت من البدايات الأولى للترجمة الذاتية الأدبية كما يظهر من يوميات (دوجديل) وما تبعه من كتابها"[(18)].

ورغم أن اليوميات تسعى إلى تسجيل كل الأحداث التي تمر بها شخصية المؤلف، لكن رغم ذلك "تبقى أعمالاً جامدة، لا تلتزم بتقنيات فنية ترقى بها إلى درجة الإبداع، فليس من الصعب كتابة الأحداث اليومية التي تجد في حياة الفرد، ولكن القدرة على فلسفة هذه الأحداث وتحليلها تبقى ميزة أساسية لصالح الترجمة الذاتية أو الغيرية، تفتقر إليها اليوميات التي تركز على رصد الأحداث فقط، دون أن تسبر غورها، وتضفى عليها مسحة جمالية، كما هو الحال في الترجمة الذاتية. وكنموذج على ذلك نجد كتاب (يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية) لأكرم زعيتر الذي صدر في عام 1980"[(19)].

وهناك نوع آخر من الكتابة اقترب بشكل كبير من السيرة الذاتية رغم ارتباطه الواضح بالجانب الديني، وهو ما يسمى بالاعترافات وهو نوع تميزت به الثقافة الغربية وقد "كثر في القرن الثامن عشر وما يليه في أوروبا، والاعترافات تُعنى عناية شديدة، بتصوير تجربة الكشف الصوفي، وهي تجربة تشبه تجربة الإلهام لدى الفنان ولعل أبرز مثال على ذلك (اعترافات القديس أوغستين) التي تعد قمة الاعترافات الدينية وقد حذا حذوها من

(18) - محمود مصطفى الشيب ندى: فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002م، ص 13/12.
(19) - المرجع نفسه، ص 13.

كتب بعده"[20] ، ولعل أهم فارق بين الجنسين أن كتاب الاعترافات تكون لديهم دوافع دينية غالبا، أما كتاب السيرة الذاتية فتتعدد دوافعهم، لذا نجدهم في كثير من الأحيان يستعينون بالرواية.

وفضلا عما سبق يمكننا أن نتقول بأن الكتاب لجأوا إلى اختيار هذا النوع من الكتابة لأنه وفر لهم ما عجزت عنه باقي الفنون الأدبية من اتساع مساحة ومرونة استغلال وقدرة على البوح والتخفي في نفس الوقت، هذا بغض النظر على أن لكل كاتب دوافعه الخاصة لا سيما أولئك الذين كانت حياتهم مزيجا بين الحزن والألم، وإذا كان الفرد العادي يحدد كتابة يومياته على مفكرة فإن الأديب بحكم موهبته الفنية وقدرته الإبداعية يلجأ إلى الرواية السير ذاتية كخيار أفضل.

أجمعت كل التعريف السابقة وغيرها أن السيرة الذاتية مهما كان شكلها وقالبها فإنها في مضامينها تتعلق بحياة الشخص وواقعه، وتجسدها كما هي، فهي ترتبط بمفهوم الصدق والتقرير الصريح والمباشر، مقابل الرواية "نص نثري تخيلي، واقعي غالبا يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثيل للحياة والتجربة، واكتساب المعرفة، فالرواية تصور الشخصيات ووظائفها داخل النص وعلاقاتها فيما بينها، وسعيها إلى غايتها"[21] ، فهي فن يبحر فيه الراوي بأحاسيسه وبخياله وينسج في عالما أراده هو لكنه بعيد عن الحقيقة وعن معيار الصدق، وهذا يمكن أن يكون أول اختلاف جوهري بينهما -أي بين الرواية والسيرة الذاتية-، ففي "السيرة الذاتية يسترجع الكاتب قصص وقعت في حياته، لكن قصة الرواية تعتمد على تخيل الكاتب الذي قد يستند على تجارب حياته أيضا فهنا تأتي العلاقة الإشكالية بين السيرة الذاتية والرواية[22] ، كما "يُصرح الكاتب في السيرة الذاتية بأنه يحكي حياته ويعرض مسار أفكاره ومشاعره... مقابل أن الرواية تبنى على ميثاق تخيُّلي يصرح فيه

[20] - المرجع نفسه، ص 13.
[21] - زيتوني لطيف، (2002م)، معجم المصطلحات نقد الرواية، عربي، إنجليزي، فرنسي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ص 99.
[22] - عبيد محمد صابر، (2009م)، تمظهرات التشكيل السير ذاتي، قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص 72.

الروائي أن ما يبينه هو من صنع التّخيُّل"[23] ، و"تختلف الرواية عن السيرة الذاتية من ناحية الزمان والمكان، الذي يكون فيه نوع من الالتزام والتحديد في السيرة الذاتية، أما في الرواية فيستطيع الراوي أن يجعله ممتدا قرونا طويلة من الزمن"[24] ومنه "فالسيرة الذاتية هي حكي استراتيجي لأحداث وقعت في الماضي، وتتمحور حول شخصية رئيسية، بينما الرواية هي تصور لحياة متطورة ونامية"[25] ، كما تختلف السيرة الذاتية عن الرواية في أنها تتعرض لحياة الكاتب بشكل مباشر، يستطيع في الرواية أن يخفي شخصيته وراءها، لكنه في السيرة الذاتية يجد نفسه موجها باختبار صعب كلما وصل إلى موضوع حساس في حياته"[26].

فالرواية تمنح للكاتب مجالا واسعا من الحرية والتخفي في نفس الوقت، ليعبر عن ذاته وراء شخصية روائية يظنها القارئ في كثير من الأحيان مستلهمة من مخيلة الكاتب لذلك "يفضل المؤلف أن يكتب سيرته الذاتية في زي روائي مستفيدا من هذه الحرية، فيجرؤا على أن يدلي بما لم يكن في استطاعته أن يدلي به لو أنه كتب اعترافا مباشرًا"[27].

فلا يمكن إنكار العلاقة التي تربط الرواية بالكتابة السير ذاتية "فهناك علاقة ظاهرة لا تخطئها العين بين فن الرواية في الأدب العربي وظاهرة الجنوح إلى الحديث عن السيرة الذاتية، بوصفها سيرة كلِّ إنسان في ذاتها رواية يعلم الكاتب نفسه تفاصيلها قبل الشروع في تناول القلم، أكثر من معرفته بتفاصيل أية رواية خيالية أخرى"[28]، ولهذا يختار الكاتب فن الرواية لكونها الأكثر استيعابا من بين كل الأجناس الأدبية للسير الذاتية، إضافة إلى ذلك فهي القادرة على الدمج بين الأحداث الحقيقية والخيالية.

---

[23] - بوعزة محمد، (2010)، تحليل النص السردي –تقنيات ومفاهيم-، ط10، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الرباط، ص 32.

[24] - دبيكي نصر الدين بن الجواد، التعالق بين الرواية والسيرة الذاتية، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ع:264، 2009، ص 10.

[25] - ماي جورج، السيرة الذاتية، (1992م)، تعريب محمد القاضي وعبد الله صوله، ط01، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ص 05.

[26] - البارودي محمد: عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ص 100.

[27] - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص 143.

[28] - عثامنة فايز صلاح قاسم، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية (دراسة في البناء والتقنيات والنوع)، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2010م، ص 24.

2-**الرواية السيرذاتية:**

رغم الفروق الواضحة والجلية بين السيرة الذاتية والرواية التي ذكرناها سابقا، إلا أنه لا يمكن فصلهما عن بعض، إذ نحكم للأولى (السيرة الذاتية) مصداقيتها وواقعيتها، ونحكم للثانية بمفارقة الواقع والتخييل، بالرغم من كون الرواية أدب الواقع أو النص الذي ينتجه الواقع بعد أن يمتزج بعوالم الذات النفسية والشعرية والعرفانية..... فيتبدد الواقع في هذه العوالم عبر فعل التخييل.

وقد يحدث في الرواية بوح الكاتب عن حياته، ولكنه عادة ما يختار إخفاء شخصه، أو الاختفاء وراء شخصيات غامضة لغاية يدركها ، مع إيمانه بأن الحياة ليست مجرد وقائع تاريخية، وإنما هي مزيج من الحقيقة والخيال والحلم... وهذا ما يؤكده جورج ماي (**George May**) حين قال: "ما يميز موقفنا عند قراءة سيرة ذاتية عن موقفنا عند قراءة رواية، ليس كون الأولى حقيقية والثانية خيالية، وإنما كون الأولى تظهر لنا في لبوس الحقيقية والثانية في لبوس الخيال"[(29)] ، أي أن الاختلاف يظهر للقارئ المتلقي وليس للكاتب نفسه، "فالروائي يملك واقعا داخليا حيا يحتاج للتعبير عنه، ويملك كذلك القدرة على اختراع قصص مثيرة مع مسارات وتوترات مشوقة توجه القارئ إلى رسالة معينة، وهو الكاتب أو الكاتبة الذي يتخيل نفسه يخوض تجارب الآخرين لكي يستطيع خلق شخصيات واقعية سيكولوجيا"[(30)] ؛ فالاختلاف ليس دائما في المضامين والأهداف، وإنما في الطريقة والأسلوب الذي اعتمده الكاتب في التعبير عن مضمونه وإيصاله إلى القارئ، فكلما اقترب من الحقيقة أكثر ظهرت ملامح السيرة أكثر وكلما أطلق العنان لخياله سار في درب الرواية .

وهنا تتجلى العلاقة القوية والتداخل الكبير الذي يجمع الرواية والسيرة ذاتية، فحينما يجتمع صدق السيرة مع خيال الرواية فإنه يُخَلِفُ لنا نوعا فنيا جديدا أو شكلا ثالثا وهو "السيرة الذاتية الروائية" -وهو مصطلح أطلقه عبد الله إبراهيم- أو "الرواية السير

(29) - الداهي محمد، (2008م) شعرية السيرة الذهنية –محاولة تأصيل-،1ط، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 20.

(30) - روابح منال، جمالية البناء الفني في كتابة الرواية السير ذاتية الجزائرية الحديثة رواية سيرة المنتهى لـ: واسيني الأعرج أنموذجا، ندوة علمية، الرواية الجزائرية والكتابة السير ذاتية، جامعة محمد بوضياف –المسيلة، 11 مارس، 2019م، ص4.

ذاتية" والتي تعرف بأنها: "ممارسة إبداعية مهجنة من فنين سرديين معروفين: السيرة والرواية، لا يقصد بالتهجين معنى سلبيا، إنما التركيب الذي يستمد عناصره من مرجعيات معروفة وإعادة صوغها وفق قواعد مغايرة"[31] ، أي أن السيرة الذاتية الروائية تشترك مع الرواية في مقوماتها الفنية، فحين تميل السيرة الذاتية نحو الخيال فهي تستمد من الرواية عنصر التخييل مع الاحتفاظ بخصوصية الذات والمرجع وهذا هو ما صرح به جون بول سارتر (**Jean Paul Sartre**) حين قال: "لقد آن الأوان أخيرا أن أقول الحقيقة، لكن لا يمكن أن أقولها إلا في عمل خيالي"[32] ؛ وهذا يعني أن السيرة الذاتية الروائية تنتمي إلى جنس الرواية من الناحية الفنية، وتنتمي إلى السيرة الذاتية الروائية لكونها تحمل رؤية خاصة تعبّر عن صاحبها فإن صح القول فإن ميثاق السيرة الذاتية الروائية ينبني على ميثاق تخيلي يصرح فيه الكاتب بأنه يحكي حياته ويعرض مسار أفكاره ومشاعره"[33] ؛ فمن حيث البناء الفني يوجد تداخل كبير بينهما وخاصة في شكل السارد الذاتي الذي يعد البطل والراوي معا في السيرة الذاتية كما يظهر بوصفه شكلا مألوفا في الرواية يكون فيه السارد هو الشخصية الرئيسية التي تدور حولها الأحداث ، فيصف الأشخاص والأحداث من وجهة نظره.

وفي تتبعنا لمفهوم الرواية السير ذاتية نجد أنها: "النصوص التخيلية التي يجد قارئها أسبابًا تدفعه انطلاقا من عناصر تشابه يعتقد اكتشافها إلى الارتياب في وجود تطابق بين الشخصية والمؤلف في حين فضّل المؤلف نفي هذا التطابق أو امتنع على الأقل من تأكيده"[34]؛ أي أن الرواية السير ذاتية تحمل إضاءات تجعل القارئ يعتقد أن هناك تطابق بين المؤلف والشخصية الرئيسة على الأقل.

قد تشير الرواية السير ذاتية إلى تطابق السارد والشخصية، وقد تكتفي بالحديث بضمير الغائب ولذلك تنأى هذه الرواية عن السيرة ذاتية لأنه لا يتحقق فيها التطابق الكامل

---

[31] - بادي إبراهيم، (1999م)، دلالة العنوان وأبعاده في موتة الرجل الأمير، مجلة المدى، ع: 26، سوريا، ص 03.

[32] - بلباشة مسيكة: تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية، رواية "مزاج مراهقة" لـ: فضيلة الفاروق أنموذجًا، مجلة المدونة، مج: 05، ع:01، 2018، ص 3.

[33] - بن أحمد نعيم: سوسيو نصية السرد في رواية الخبر الحافي لمحمد شكري، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي، تخصص: سرديات عربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2011/2010م، ص 10.

[34] - القاضي محمد وآخرون، (2010م)، معجم السرديات، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، ص 219.

والصريح بين الراوي والشخصية كما هو الحال في السيرة الذاتية، وقد تخضع الرواية السير ذاتية : "لبناء سردي يماثل البناء السير ذاتي، خاصة في التسلسل الحداثي السير ذاتي وعلاقته بالأزمنة والأمكنة، والشخصيات الداعمة لموقف الذات عبر جسد المتخيل، لذا فهي تنوع ما أمكنها ذلك في استثمار الطاقات التقنية بآلياتها المتعددة للرواية والسيرة الذاتية معًا"[35] . إنها رواية تدفع قارئها إلى أن يتلقى النص تلقيًا مزدوجا يلتبس فيه التخييلي والروائي بالمرجعي الواقعي.

ولأن تعرية النفس أمر يتجنبه أدباؤنا فقد وجدوا في الرواية السير ذاتية متنفسا لهم على الرغم من عرضهم لصفحات من حياتهم معتمدين على المراوغة لأن أهم ما يحقق الرواية السير ذاتية "عملية الإضافة والخلق التي تفرض مزج الواقع بشيء من الخيال وربط الأحداث الرئيسية الواقعة بأحداث جانبية مخترعة وتجلية الشخصيات المحورية الكائنة بشخصيات ثانوية مولدة كل هذا بالإضافة إلى ما قد يكون من اختراع أسماء جديدة لبعض الشخصيات أو ذكر صفات توهم بالمغايرة بينهم من جانب آخر وبين المؤلف ومن شاركوه في أحداث تجربته من جانب آخر"[36] ، يعني ذلك أن الرواية السير ذاتية لا تنسلخ من حياة صاحبها، وإن احتل الخيال مساحة من الأحداث، ذلك لأنها ترتكز على تجربة أحدثت أثرا نفسيا قويا، وهزة داخلية تسببت في انتاج نص وبوح ذات .ولذلك تصبح الرواية السير ذاتية فنا يحتضن سيرة ويخفيها ، حينما تتيح لصاحبها مساحة من الحرية ليخفي أسراره ، إذ "يتسع للكاتب المجال للإبداع، وتلعب بذلك المخيلة لعبتها الفنية"[37] ، فهي لا تظهر من الوهلة الأولى أنها سيرة ذاتية؛ لأنها تكون أقرب إلى الرواية منها إلى السيرة ولا تنفتح إلا للقارئ الفطن الذي يعرف آليات الوصول إلى المعنى من خلال المضمرات النصية.

ومن خصوصيات الداخل بين السيرة والرواية ، الميثاق السير ذاتي، و "هو ميثاق تتجلى فيه كل الإشارات التي تدل على وجود اتصال مباشر بين المؤلف والكاتب من إعلان

---

[35] - عثامنة فايز صلاح: السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، ص 25/24.

[36] - هيكل أحمد، (1968م) الأدب القصصي والمسرحي في مصر في أعقاب ثورة 1919 إلى قيام الحرب الكبرى، دار المعارف، مصر، ص 144.

[37] - إبراهيم عبد الله، (1998م) السيرة الروائية -إشكالية النوع والتهجين السردي- مجلة تروى، العدد 14، ص 10.

للنية، وتوضيحات واعتذارات ومقدمات..."[38] ، وهو المحدد الذي يفصل ما إذا العمل سيرة ذاتية أو غير ذلك، حيث يضع مجموعة من المعايير والضوابط التي يلتزم بها الكاتب وكأنه يبرم عقد مع القارئ لا يمكنه التراجع فيه أو الإخلال بشرط من شروطه وذلك من خلال "التصريح والاعتراف المباشر بمصداقية الوقائع المرورية، والتي تستهدف القارئ، وهذه الميزة تتصل بنصوص السيرة الذاتية دون غيرها، فالقارئ تُغريه الحقيقة في النص، حيث يسعى جاهدًا للبحث عنها، مدعوما بميثاق يربطه بالنص، ويحدد مسار تأويلاته المحكومة بالصدق والمرجعية الواقعية"[39] .

وقد تكون الرغبة في الكتابة والتحدث عن الذات هي الدافع وراء الإبداع، فمن خلال ما تقدم يتبين أن هناك العديد من الدوافع النفسية التي تقف وراء تدوين الرواية السير ذاتية ومن بينها إثراء الساحة الأدبية بنتاج أدبي يحمل تجارب المؤلف وينقل رؤيته للعالم المحيط به، ويمكن أن يكون حضور الذات هو الدافع البارز وراء نقل حياة الكاتب بطابع يظهر للقارئ على أنه تخييلي، كما أن الدوافع السياسية يمكن أن تقف وراء اختيار الرواية لسرد وقائع عاشها الكاتب في ظل تردي الأوضاع السياسية، حيث آثار الكاتب إضمارها وراء عالم الرواية التخييلي، ولا يستبعد أن تكون الدوافع الاجتماعية مثل العادات والتقاليد وغيرها هي التي تكمن وراء كتابة بعض الروائيين للرواية السير ذاتية.

إن الرواية السير ذاتية تحاول الكشف عن الأسرار التي تكتنف حياة شخصي معين من خلال تفاعلها بالمحيط الاجتماعي والعلاقات الإنسانية وتطورها الذاتي متوسلة بأسلوب السرد، والسيرة الذاتية تقوم على مثل هذا الأساس غير أن السيرة الروائية تعتمد في الوقت ذاته على عدم التطابق بين شخصية المؤلف المذكور على الغلاف والشخصية التي تشكل موضوع النص وهذا ما يفرق بين الرواية والسيرة الذاتية حسب رأي فيليب لوجون[40] .

---

[38] - المرجع نفسه، ص 15.

[39] - روابح منال جمالية البناء الفني في كتابة الرواية السير ذاتية الجزائرية الحديثة -رواية سيرة المنتهى لـ (واسيني الأعرج) أنموذجا-ص 6.

[40] - عثامنة فايز صلاح، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، ص 44.

إن أدب السيرة يعني حياة إنسان أو بعض منها مدونة بقلمه، وهو اقتحام للذات لكشف حركة النفس الباطنية ومستوى وعيها، فوراء كل أدب ذاتي اعتقاد بأن الذات مستقلة ولكنها شفافة أمام نظر نفسها تتطلب جرأة حقيقية لتدوينها، أما السيرة الروائية فهي كتابة سردية مهجنة أي تنتج عن نوعين سرديين السيرة والرواية ، وهي لا تتطابق تماما مع الواقع بل تحوي في ثناياها الكثير من التعديلات والتغييرات والتخييل مما لا يسلم بالضرورة نسبتها كليا للواقع، فهي بمثابة منظور أو رؤية الكاتب للحياة يعالج فيها قضايا تهمه وتهم أفراد مجتمعه، وفيها نبذ لقيم يراها عائقا لحريته، وحرية الآخرين.

3-خصائص الرواية السيرذاتية:

إذا كانت الرواية السير ذاتية تتضمن جزء من سيرة كاتبها فإن "المعيار التصنيفي لها كمن سواها فيما يتركه من علامات داخل الرواية"[41]، فهذه العلامات أو الدلائل على الرواية السير ذاتية هي التي سوغت هذا الربط بين الرواية وكاتبها، وسنشير إلى هذه الدلائل والمؤشرات عبر النقاط الآتية:

1.3-توظيف ضمير المتكلم (أنا): يعد ضمير المتكلم (أنا) من أكثر الأساليب شيوعًا في الاستدلال على الرواية السير ذاتية لأنه يجعل الحكاية المسرودة أو الأحدوثة المروية مندمجة في روح المؤلف، حيث ترى نانسي كريس "بأن الكاتب يتحدد تماما مع الراوي عبر الكتابة بضمير المتكلم، ولم يعد ثمة مجال ليعطينا معلومات أو تفسيرات لا يعرفها الراوي، يعني ذلك أن الكاتب يتحول إلى شخصية على نحو يفوق أي وجهة نظر أخرى[42]".

2.3-المكان والزمان: يُعد الزمان والمكان ثاني العلامات على الرواية السير ذاتية، فعبر الاحتفاء بالمكان ووصفه وصفا دقيقا تتجلى لنا علاقة الكاتب بالمكان في الرواية السير ذاتية، فالمكان ليس فراغا أو خلاء أو أسماء، بل هو الثبات الذي يشمل الاسم ويدل عليه، أما الزمان-الزمن- فله وقع خاص في نفس الكاتب/الراوي إذ أنه يرتبط بتاريخه الشخصي وبتاريخ مجتمعه.

---

[41] صالح فرح مهدي، الرواية سير ذاتية (روايات علي بدر أنموذجا)، لموقع الإلكتروني: https://www.researchgate.net/Publication/238916968، 7 جوان 2021، س: 11:06، ص 9.

[42] - المرجع نفسه، ص 9.

3.3-الوعي الكتابي للمبدع في الرواية السير ذاتية: إن حضور الوعي الكتابي للمؤلف يزيد من رصانة الرواية السير ذاتية، وذلك لأن كاتبها يحمل إحساسا مرهفا وعميقا تجاه الأشياء التي يحاول الكتابة عنها مسلطا الضوء على النقاط الملتبسة والمظلمة في حياتنا، والمسكوت عنها، لأن الرواية من وجهة نظره هي البديل الحقيقي الاستعاري عن السوسيولوجيا والتاريخ... والثقافة عموما.

4.3-التاريخ الشخصي للكاتب: يعد التاريخ الشخصي للكاتب من أهم الوسائل لاستدلال على الرواية السير ذاتية، وذلك عبر بيان العلاقة بين شخصية الكاتب وشخصية بطل الرواية.

خاتمة :

خلص المقال إلى جملة من النتائج نوجزها في الآتي:

- تؤدي الذاتية، في تقاطع السيري والتخييلي، حضورا فكريا واجتماعيا كان يفتقده الروائي في الواقع الذي يعيشه.

- كتابة الذات زاوية نظر المبدع التي يرى من خلالها الأشياء بشكل مختلف، والاختلاف يقع في الرواية السيرذاتية عبر تقنية الانتقال بين الواقعي والتخييلي وعبر عالم الحلم، يتجاوز فيه الروائي حدود الموضوعية.

- اختزال التاريخ الشخصي وتمثّله في النص الروائي عبر نموذج الكتابة الذاتية، هو نوع من الكتابة التجاوزية التي تحاول البوح عن المسكوت.

- الاحتفاء بالسير ذاتي في الرواية العربية عموما، كتابة وأسلوبا وبوحا وإضمارا والتقاء بين الذاتي والتاريخي أو الاجتماعي أو السياسي .... هو منجز سردي يستحق الكشف عما يبطنه من مقاصد ومعاني تجلي تلك العلاقة وتظهر الغاية من ورائها.

المراجع:

1. إبراهيم عبد الله، (1998م)، السيرة الروائية -إشكالية النوع والتهجين السردي- مجلة تروى، العدد 14.
2. بادي إبراهيم، (1999م)، دلالة العنوان وأبعاده في موتة الرجل الأمير، مجلة المدى، ع: 26، سوريا.
3. البارودي محمد: عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
4. بلباشة مسيكة: تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية، رواية "مزاج مراهقة" لـ: فضيلة الفاروق أنموذجًا، مجلة المدونة، مج: 05، ع:01، 2018، ص 3.
5. بن أحمد نعيم: سوسيو نصية السرد في رواية الخبر الحافي لمحمد شكري، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي، تخصص: سرديات عربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2011/2010م، ص 10.
6. بودربالة الطيب، من السيرة الذاتية إلى السيرة الروائية، مقال نقدي، الموقع الإلكتروني benhedoug.com/content، 05 جوان 2021 س: 10:00.
7. بوعزة محمد، (2010)، تحليل النص السردي –تقنيات ومفاهيم-، ط10، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الرباط،
8. -جبورعبد النور، (1984م)، المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، لبنان، ص 143.
9. الداهي محمد، (2008م) شعرية السيرة الذهنية –محاولة تأصيل-،1ط، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
10. دبيكي نصر الدين بن الجواد، التعالق بين الرواية والسيرة الذاتية، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ع:264، 2009، ص 10.

11. روابح منال، جمالية البناء الفني في كتابة الرواية السير ذاتية الجزائرية الحديثة رواية سيرة المنتهى لـ: واسيني الأعرج أنموذجا، ندوة علمية، الرواية الجزائرية والكتابة السير ذاتية، جامعة محمد بوضياف –المسيلة، 11 مارس، 2019م.

12. شرف عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر.

13. شعبان عبد الحكيم محمد، (2009م)، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

14. -صالح فرح مهدي، الرواية سير ذاتية (روايات علي بدر أنموذجا)، لموقع الإلكتروني: https://www.researchgate.net/Publication/238916968، 7 جوان 2021، س: 11:06.

15. الطريطر جليلة، (2004م) مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، بحث في مرجعيات، ج1، ط1 مركز النشاط الجامعي، تونس.

16. عباس إحسان، (1996م)، فن السيرة، ط،1، دار الصادر، بيروت.

17. عبد الفتاح شاكر تهاني، (2002م)، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس أنموذجا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

18. عبيد محمد صابر، (2009م)، تمظهرات التشكيل السير ذاتي، قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

19. عثامنة فايز صلاح قاسم، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية (دراسة في البناء والتقنيات والنوع)، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2010م.

20. القاضي محمد وآخرون، (2010م)، معجم السرديات، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس.

21. لوجون فيليب، (1994م)، ط1، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم: عمر حلي، المركز العربي، بيروت.

22. ماي جورج، السيرة الذاتية، (1992م)، تعريب محمد القاضي وعبد الله صوله، ط01، بيت الحكمة، قرطاج، تونس.

23. محمود مصطفى الشيب ندى، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002، مذكرة قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الماجيستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م

24. هيكل أحمد، (1968م) الأدب القصصي والمسرحي في مصر في أعقاب ثورة 1919 إلى قيام الحرب الكبرى، دار المعارف، مصر.